

تهذيب

أحوال الأئمة

وأحوال أهلها إلى النشور

المحافظ

زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي

تهذيب

أبو حذيفة

أبو حذيفة

أبو حذيفة

بطنطا
ت- ٣٣١٥٨٧
طباعة نشور

كتاب قدحوى دُرّاً
لهذا قلتُ تنبيهاً
بِعينِ الحسَنِ مَلْحُوظَةً
حُقوقِ الطبعِ مَحْفُوظَةً

الطبعة الاولى

في غرة شعبان سنة ١٤٠٦ هـ

دار تبليغ الصحابة
بطنطا
ت - ٣٣١٥٨٧
طباعة نشر تونسي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أسكن عباده هذه الدار، وجعلها لهم منزلة سفر من الأسفار، وجعل الدار الآخرة هي دار القرار، وجعل بين الدنيا والآخرة برزخاً يدل على فناء الدنيا باعتبار، وهو في الحقيقة إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار، ويرفق بعباده الأبرار في جميع الأقطار، وسبق رحمته بعباده غضبه، وهو الرحيم الغفار، أحمده على نعمه الغزار، وأشكره، وفضله على من شكر مدرار؟ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المختار، الرسول المبعوث بالتييسير والإنذار ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بركاتها بالعشى والإبكار.

لقد اهتم رسول الله ﷺ لأمر البعث والعقاب والثواب اهتماماً كبيراً في بداية الدعوة إلى الله فرغهم فيما عند الله وحبب وزين لهم الآخرة وما فيها من الأجر والثواب وإن فيها..

« ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »..

ورهبهم من مخالفة أمرهم فحذرهم ورغبتهم من هول يوم القيامة وشدة عذاب النار وكذلك أول مراحلها وهي القبر وما فيه من نعيم لمن عرف حقوق الله عليه فأقامها وعاش بها ومات عليها.

والويل كل الويل في القبر لمن خالف أمره ولم يتبع هديه وشريعته.

هكذا كان هديه ﷺ في بداية دعوته ثم وضع وفصل لهم ذلك الأمر بعد أن رسخت العقيدة في القلوب .

فما أحوجنا الآن « في عصر الماديات » لتوضيح ما يحدث في القبور وأحوال أهلها إلى النشور بعد أن قست القلوب وأصبحت أشد قسوة من الحجارة . لأن الحجارة كما قال تعالى عنها :

«وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَأَنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ» ..

فأصبحت هذه القلوب لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً وأصبحت الماديات هي الآلهة لهم فيها يعيشون ومن أجلها يموتون . وأصبح ذكر النار عندهم لا يعنى شيئاً عكس الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وسلف الأمة الصالح رضی الله عنهم وأرضاهم أجمعين فقد كانت تتغير أحوالهم وألوانهم عند سماع كلمة « النار » ويمنعوا النوم : فقد كان عمر بن عبد العزيز ساكتاً وأصحابه يتحدثون ، فقالوا مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين قال كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها . ثم بكى - وروى أن أبا موسى الأشعري خطب الناس بالبصرة ، فذكر في خطبته النار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر - وبكى الناس يومئذ بكاء شديداً - وكان سعيد الجرمي يقول فيه وصف الخائفين : إذا مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فرحاً كأن زفير النار في آذانهم ، وكان الآخرة نصب أعينهم - ومما قال الفرزدق يعني زوجته :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي .. أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَاباً وَأَضْيِقاً
 إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ .. عَنِيْفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوْقُ الْفَرَزْدَقَا
 لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى .. إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَرْوَقَا
 يُسَاقُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلَا .. سَرَابِيلَ قَطْرَانٍ لِبَاسَاً مَحْرَقَا
 إِذَا شَرَبُوا فِيهَا الصِّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ .. يَذُوبُونَ مِنَ الْحَرِّ الصِّدِيدِ تَمْرُقَا

وعن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«والذى نفسى بيده لو رأيت ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً» ..

لهذا كان رسول الله ﷺ حريصاً على تذكيرنا بالمصير الأخير بل هى البداية
لحياة دائمة ان شاء الله وذلك لكى لا نغفل ولا تغرنا الحياة الدنيا .

ولذلك تجد آيات الله في كتابه الكريم فيها من الترهيب «من النار ومن
زمهريرها وشرابها وسلاسلها وأغلالها ولباس أهلها وأوديتها وأبوابها وخزنتها
وسعتها وظلمتها» الشئ الكثير حتى لا تكون لنا حجة يوم القيامة «ولقد أعذر
من أنذر» .

لأهمية هذا الأمر نجد سلفنا الصالح رضوان الله عليهم قد سجلوا لنا كتباً
كثيرة منها المطول ومنها المختصر فعلى سبيل المثال :

الإمام القرطبي سجل لنا: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة .
والإمام ابن رجب الحنبلي سجل لنا: أهوال القبور وأحوال أهلها إلى
النشور .

والإمام ابن رجب الحنبلي أيضاً سجل لنا: التخويف من النار والتعريف
بدار أهل البوار .

والإمام المنذرى سجل لنا: الترغيب والترهيب .

والإمام ابن أبى الدنيا سجل لنا: كتباً كثيرة منها ما يسر الله لنا استكمال
طبعها ومنها المختصرين، وكتاب ذكر الموت، وكتاب من عاش بعد الموت
الرقعة والبكاء .

وكذلك سطر لنا علماءنا المعاصرون كتباً فى هذا الأمر وما ذلك .. إلا

لنتعظ ونعتبر ونعمل لما بعد الموت ..

★ ★ ★ ★ ★

منهج العمل في هذا التهذيب :

قام الشيخ الفاضل ولا نزكى على الله أحداً [محمد الطيب بن يس الخراشي الحسيني] بتحقيق أصل الكتاب [أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور] طبعة السنة المحمدية فخرج أحاديث الكتاب وبين مواضعها من كتب السنة والمراجع قد ذكرناها في آخر التهذيب ليسهل على الباحث الرجوع إليها، وبين درجتها من الصحة والضعف، ونقل أقوال الأئمة الحفاظ في الأحاديث وراجع متونها على الكتب فجزاه الله خيراً.

ولكن قد ذكر الحفاظ ابن رجب رحمه الله في كتابه بعض قصص القصاصين وحفارى القبور وبعض الرؤى للتابعين وغيرهم فوجدنا أن هذه القصص وهذه الأخبار والرؤى لا يثبت بها دليل ولا نستطيع أن نجزم بصحتها أو عدمه فرأينا حذف هذه الأخبار، وأن نكتفى بذكر آيات كتاب الله وما صح من حديث رسول الله ﷺ فالحجة به قائمة. مستفيدين من تحقيق ومراجعة الشرح للأخ المكرم الشيخ [محمد الطيب بن يس الخراشي الحسيني] على نسخة مكتبة السنة المحمدية. مركزين فيه على الدواء لهذا الداء وهو قسوة القلب والبعد عن الله وعدم العمل لما بعد الموت ومحتفظين بنص كلام الحفاظ ابن رجب.

المحقق

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

ترجمة المؤلف

هو الإمام الحافظ عبد الرحمن أحمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ويكنى بأبي الفرج. ولد ببغداد في ربيع الأول سنة ست وسبعمائة هجرية ٧٠٦ هـ ثم رحل به أبوه إلى دمشق سنة ٧٤٤ هـ وتوفي رحمه الله سنة ٧٩٥ هـ بدمشق.

طلبه العلم:

اشتغل رحمه الله تعالى، بسماع الحديث باعتماد والده، وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ، وخرج لنفسه مشيخة مفيدة، وكانت له رحلات كثيرة في طلب العلم. واستفاضت له شهرة بالعلم والصلاح، فكان يوصف بأنه صاحب عبادة وتهجد، وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة، اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالحببة إليه، وكانت له تصانيف جليلة منها:

المطبوعة: شرح علل الترمذي - ذيل طبقات الحنابلة - جامع العلوم والحكم - الاستخراج لأحكام الخراج - وظائف الإنسان - فضل علم السلف على الخلف - مختصر شعب الإيمان - نور الاقتباس - تحقيق كلمة الإخلاص - كشف الكربة - شرح حديث ما ذئبان - الفرق بين النصيحة والتعير - التخويف من النار أما المخطوط فكثير انظر إذا أردت تفصيل ترجمته رحمه الله (*).

(* ١ - إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر (١٧٥/٣) - ٢ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٤٢٨/٢) - ٣ - الدارس في تاريخ المدارس للنعمي (٧٦/٢) - ٤ - طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٦ - ٥ - شذرات الذهب لابن العماد (٣٢٩/٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

في ذكر حال الميت عند نزوله قبره وسؤال
الملائكة له وما يفسح له في قبره أو يضيق عليه
وما يرى من منزله في الجنة أو النار

قال تعالى:

«يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» (١) ..

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال (٢): خرجنا مع رسول الله ﷺ في
جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد (٣) بعد، فجلس رسول الله
ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ويده عود ينكت (٤) به في الأرض
فرفع رأسه فقال:

«تعوذوا بالله من عذاب القبر» ..

مرتين أو ثلاثاً - ثم قال:

(١) سورة إبراهيم الآية: ٢٧ .

(٢) رأينا أن نجمع رواية البراء بن عازب رضي الله عنه فقد ذكرها الإمام ابن رجب مفرقة على
حسب مواضعها فرأينا ذكر الحديث كاملاً لتكمل الفائدة وقد رواه الإمام أحمد في مسنده
٤ / ٢٨٧ وأبو داود في سننه ٢ / ٥٤٠ والحاكم في المستدرک ١ / ٣٧ وقال: صحيح على شرط
الشيخين وأقره الذهبي والألباني انظر أحكام الجنائز للالباني ١٥٩ .

(٣) اللحد: هو الشق الذي يكون في قبلة القبر موضع الميت .

(٤) ينكت: أي يضرب بطرفه الأرض ضرباً يؤثر فيها .

«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط^(٥) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ويحيى ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يرون على ملاء^(٦) من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى في عليين^(٧) وأعيدوه إلى الأرض في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: ما يدريك؟ فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته، فينادى مناد من السماء: أن قد صدق عبدى فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عمك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

(٥) الحنوط: طيب يخلط للميمت خاصة تكون له رائحة طيبة.

(٦) ملاء: أى جماعة.

(٧) عليون: من العلو وقيل: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين.

وان العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح^(٨) فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت^(٩) حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود^(١٠) من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين^(١١) في الأرض السفلي ثم تطرح روحه طرْحاً ثم قرأ « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري قال: فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري قال فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تُقم الساعة^(١٢).

(٨) المسوح: جمع مسح وهو كساء من الشعر.

(٩) لم يأت في السنة الصحيحة أن اسم ملك الموت عزرائيل ولعله من الاسرائيليات.

(١٠) السفود: حديد ذات شعب معقفة.

(١١) سجين: أى في سجن وضيق.

(١٢) ومما يدل على ثبوت عذاب القبر قوله تعالى « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب

ارجعون . لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم

يبعثون » وقوله تعالى : « وحق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم

الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وسوف يتعرض له المؤلف رحمه الله في باب مستقل .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إذا قبر الميت أو قال: أحدم أتاه ملكان أسودان أزرقان» (١٣) يقال
لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟
فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده
ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يُفصح له في قبره سبعون
ذراعاً في سبعين ثم يُنور له فيه، ثم يقال له: ثم فيقول: أرجع إلى أهلي
فأخبرهم فيقولان: نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه
حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون
قولا فقلت مثله، لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال
للأرض: التمي عليه فلتشم عليه فتختلف فيها اضلاعه (١٤) فلا يزال فيها
معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك» (١٥) ..

قال الإمام أحمد: أخبرنا يزيد بن هارون عن المسعودي عن العلاء بن
الشيخير حدثنا بعض حفدة أبي موسى الأشعري أن أبا موسى الأشعري أوصاهم
قال:

إذا حفرتم فأعمقوا قعره أما إني والله لا أقول لكم ذلك وإني لأعلم إن كنت
من أهل طاعة الله ليفسحن لي في قبري ولينور لي فيه. ثم ليفتحن لي باب

=== وكقوله تعالى: «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم
أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن
آياته تستكبرون» وكذلك تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في ذلك انظر صفحة (٢٢).

(١٣) أى عينها لما لهذه الصفة من الهول على المقبور.

(١٤) أى يتداخل بعضها في بعض.

(١٥) رواه الإمام الترمذى وقال حسن غريب ٢٩١/٤ وابن حبان الحديث ٧٨ ص
١٩٧ وقال الشيخ الالبانى: سنده حسن وهو على شرط مسلم مشكاة المصابيح ٤٧/١.

مساكني في الجنة فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم من مساكني منها ثم ليأتيني من رَوْحها ويريحها ويريحانها. ولكن كنت من أهل المنزلة الأخرى ليضيّقن علي قبري، وليهدمن علي الأرض، وليفتحن الله إلي باب مساكني من النار، فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم من مساكني منها، ثم ليأتيني من شرها وشرورها، ودخانها^(١٦).

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عمر بن ذر قال:

«إذا دخل الميت حفرة نادته الأرض أمطع أم عاصر، فإن كان صالحاً ناداه مناديه ناحية القبر عودي عليه خضراء كوني عليه رحمة، فعم العبد كان لله عز وجل، ونعم المورد إليك قال: فتقول الأرض الآن استحق الكرامة».

وإسناده عن محمد بن السماك الواعظ قال: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر، أما كان لك في تقدمك إيانا فكرة، أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا في المهلة، فهلا استدركت ما فات إخوانك قال: فتناديه بقاع القبر، أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب عنك من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهادي به أحبته إلى المنزل الذي لا بد منه.

★ ★ ★ ★ ★

(١٦) انظر أيضا الاسلام إلى فهم صحابة رسول الله ﷺ من نظرهم إلى الآخرة أثناء حياتهم ومن نظرنا الآن إلى أول منزل من منازل الآخرة فنحن نبنى ونشيد القصور وكأنها دار المقام فلا حول ولا قوة إلا بالله.



اجتماع الموتي إلى الميت وسؤالهم اياه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر خروج الروح وقال في روح المؤمن:

فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يُقَدِّمُ عليهم فيسألونه ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم فلان؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية (١٧) ..

اجتماع أعمال الميت عليه من خير وشر
ومدافعتها عنه، وكلامها له، وما ورد من
تحسر الموتي على انقطاع أعمالهم، ومن أكرم
منهم تبقي أعماله عليه

روى حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

والذي نفسى بيده إنه ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والاحسان إلى الناس عند رجله، فيؤتى من قبل رأسه،

(١٧) رواه النسائي وصححه اساده المحافظ العراقي وعند ابن حبان الحديث ٧٣ ص ١٨٧ (موارد الظمآن) وعندده نحوه من طريق آخر عن أبي هريرة الحديث ٧٣ ص ١٨٦ وقد روى في هذا الباب آثار كثيرة ولكن؟.

فتقول الصلاة ليس من قبلي مدخل ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ليس من قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن شماله فيقول الصوم ليس من قبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجله ، فيقول : فعل الخيرات والاحسان إلى الناس ليس من قبلي مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس وقد مثلت الشمس للغروب فيقولون له : ما تقول في هذا الرجل الذي كان بعث فيكم؟ يعنى النبي ﷺ فيقول أشهد أنه رسول الله ، جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقناه واتبعناه ، فيقال له : صدقت ، وعلى هذا حيت ، وعلى هذا مت ، وعليه تبعث إن شاء الله ، فيفسح له في قبره مد بصره . فذلك قوله سبحانه : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .. فيقال : افتحوا له بابا إلى النار فيقال : هذا منزلك لو عصيت الله فيزداد غبطة وسروراً ، ويقال : افتحوا له بابا إلى الجنة فيفتح له فيقال هذا منزلك وما أعد الله لك فيزداد غبطة وسروراً فيعاد الجسد إلى ما بدىء منه وتجعل روحه نسيم طير معلق في شجر الجنة .

وأما الكافر فيؤتى في قبره من قبل رأسه فلا يوجد يعنى شيئاً فيجلس خائفاً مرعوباً فيقال له : ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به ؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال : محمد رسول الله ﷺ فيقول : سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا فيقال له : صدقت على هذا حيت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، فذلك قوله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » فيقال : افتحوا له بابا إلى الجنة فيفتح له باب إلى الجنة فيقال : هذا منزلك وما أعد الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً ، ثم يقال : افتحوا له بابا إلى النار فيفتح له باب إليها فيقال له : هذا منزلك ، وما أعد الله لك فيزداد حسرة وثبوراً .

قال أبو عمرو الضرير : قلت لحماد بن سلمة : كان هذا من أهل القبلة ؟ قال : نعم ، قال أبو عمرو : كأنه شهد بهذه الشهادة على غير بقين يرجع إلى قلبه كأن يسمع الناس يقولون شيئاً فيقول (١٨) .

(١٨) رواه الطبراني في الاوسط وحسن اسناده في مجمع الزوائد . وقد رواه غير واحد عن محمد بن عمرو فعند الحاكم في المستدرک عن سعد بن عامر عه ٣٧٩ / ١ ثم رواه عن حماد وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ورواه ابن حبان : ٧٨١ ص ١٩٧ من طريق معمر ابن سليمان عنه .

وعن يزيد الرقاش (١٩) : انه كان يقول في كلامه : أيها المتفرد في حضرته المحلى في القبر بوحدته المتأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأى أعمالك استبشرت ، وبأى إخوانك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبيل عمامته ويقول : استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط بإخوانه المتعاونين على طاعة الله .

وبإسناده عن الوليد بن عمرو بن الصباح قال : بلغني أن أول شيء يجده الميت حوله عند رجليه فيقول : ما أنت ؟ فيقول : أنا عميلك . وقد ورد في شفاعة القرآن لقارئه ودفعه عنه عذاب القبر خصوصاً سورة « تبارك الذي بيده الملك » .

فعن ابن مسعود قال : من قرأ « تبارك الذي بيده الملك » كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة وخرجه خلف في فضائل القرآن ولفظه عن ابن مسعود أنه ذكر تبارك فقال : هي المانعة تمنع من عذاب القبر ؟ توفي رجل فأتى من قبل رجليه فتقول رجلاه لا سبيل لكم على ما قبلي إنه كان يقرأ سورة الملك ، ويؤتى من قبل بطنه فيقول بطنه : لا سبيل لكم على ما قبلي إنه كان يقرأ سورة الملك (٢٠) .

قال أحمد بن أبي الخوارى حدثنا يحيى بن مريح عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى :

« فَلَأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ » ..

قال : في القبر ، قال أحمد : فحدثت به يحيى بن معين ، فقال : طوبى لمن كان له عمل صالح يكون وطأه في قبره ، ويشهد لهذا كله ما في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :

(١٩) كان قاصاً ولكمهم تكلموا فيه من جهة الحديث .

(٢٠) ونحو ذلك روى الخاتم في المستدرک ٤ / ٤٩٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير أن البيهقي روى عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً في الباب في كتاب اثبات عذاب القبر .

«تبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله،
فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» (٢١) ..

ومما كتبه محمد بن يوسف الأصبهاني إلى أخيه، إني محذرك متحولك من دار
مملكك إلى دار اقامتك وجزاء أعمالك فتصير في قرار باطن الأرض بعد
ظاهاها فيأتبك منكر ونكير فيقعدانك وينهرانك فإن يكن الله معك فلا بأس
عليك ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإباك من سوء
مصرع وضيق مضجع. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من علم نافع، أو
صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له» (٢٢) ..

ومن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدع به قبل أن يأتيه، أنه إذا
مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً» (٢٣) ..

وعن الحسن قال: دخلت أنا وصفوان المقابر ففنع رأسه ثم لم يزل يذكر الله
تعالى حتى خرجنا من المقابر فقلت له في ذلك فقال إني قد ذكرتهم، وما حضر
عليهم من ذلك ونحن في المهلة (أى على ظهر الدنيا) فأحببت أن أقدم لذلك
شيئاً من عمل قال الحسن: أحب والله أن يكون لي في كل خير نصيب.

(٢١) صحيح البخارى (١٣٤٨) كتاب الدعوات ومسلم ٢٩٦٠ (٤/٢٢٩٣)
كتاب الزهد والرفائق.

(٢٢) رواه الإمام مسلم والبخارى في الادب المفرد وأبو داود والنسائي.

(٢٣) رواه الإمام أحمد ومسلم والبخارى والنسائي وعن أنس وفيه الدعاء «اللهم
أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي» رواه أحمد والبخارى
ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ومما قاله الفضل الرقاش: كان يقول في كلامه إذا ذكر أهل القبور: يا لها من وجوه حيل بينها وبين السجود لله عز وجل لو يجدون إلى العمل مخلصاً بعد المعرفة بحسن الثواب لكانوا إلى ذلك سراعاً. ثم يبكي ويقول يا إخوانه فأنتم اليوم قد خلى بينكم وبين ما عليه ترجون إليه فكاك رقابكم ألا فبادروا الموت وانقطع أعمالكم فإن أحدكم لا يدري متى يخترمه ليلاً أو نهاراً. وكان داوود الطائي^(٢٤) مع جنازة فقال في كلامه: اعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على ما يخلصون، فما عليه أهل القبور ندموا عليه، وأهل الدنيا يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يتخاصمون.

★ ★ ★ ★ ★

(٢٤) من علماء الكوفة وإمامها توفي سنة ١٦٢ هـ.



عرض منازل أهل القبور عليهم من الجنة أو النار بكرة وعشية

قال تعالى:

«النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» (٢٥) ..

قال قتادة في هذه الآية يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخاً وصغاراً ونقيصة، وقال ابن سيرين: كان أبو هريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول: عرجت ملائكة، وهبطت ملائكة، وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار. وقال شعبة عن معلى بن عطاء سمعت ميمون بن ميسرة يقول: كان أبو هريرة إذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار. ومن حديث ابن عمر عن النبي ﷺ:

«إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، حتى يبعثه الله يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» (٢٦) ..

وعن الفضيل بن غزوان عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولفظه: «ما من عبد يموت إلا عُرضَ عليه مقعده إن كان من أهل الجنة وإن كان من أهل النار» (٢٧) ..

(٢٥) سورة غافر الآية: ٤٦ وأثر قتادة رواه الطبري في التفسير، وفيه نقمة بدلا من نقيصة.

(٢٦) الصحيحين من حديث ابن عمر.

(٢٧) رواه مالك في الموطأ ٢٣٩/١ وأحمد في المسند ١١٣/٢ ورواه الإمام

البخاري ١٤٢/٢ ومسلم ٢١٩٩/٤ عن طريق مالك.

ذكر عذاب القبر ونعيمه

قال تعالى:

«فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ . فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ . إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ» (٢٨) ..

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» ..
فقال عائشة أو بعض أزواجه: إنا نكره الموت قال:

«ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فكره لقاءه» (٢٩) ..

وكذلك ينظر حديث البراء بن عازب في أول الكتاب صفحة (٩) .

وقد دل القرآن على عذاب القبر في مواضع كقوله تعالى:

«وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» (٣٠) ..

وروى شريك عن ابن إسحاق عن البراء في قوله تعالى:

«وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ» (٣١) ..

(٢٨) سورة الواقعة الآيات: ٨٣ - ٩٥ .

(٢٩) رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي وقد روى هذا المعنى عن النبي ﷺ من وحوه منعدده فقد رواه مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة ٢٤٠ / ١ والبخاري من طريق مالك ١٧٧ / ٩ ورواه مسلم من حديث أبي موسى الحديث ٢٦٨٦ .

(٣٠) سورة الأنعام الآية: ٩٣ (٣١) سورة الطور الآية: ٤٧ .

أُقال: عذاب القبر، وكذا روى عن ابن عباس في قوله تعالى: **«وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ»** (٣٢) ..
إنه عذاب القبر وكذا قال قتادة والربيع بن أنس في قوله تعالى: **«سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ»** (٣٣) ..

أحدهما في الدنيا والأخرى هي عذاب القبر.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر والتعوذ منه، وفي الصحيحين عن مسروق عن عائشة أنها سألت النبي ﷺ عن عذاب القبر قال:

«نعم عذاب القبر حق» ..

قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد ذلك صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر (٣٤) ..

وفيها عن عمدة عن عائشة أن النبي ﷺ قال:

«إني رأيتكم تُفتنون في القبور كفتنة الدجال» ..

قالت عائشة فكنت أسمع رسول الله ﷺ بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر (٣٥) وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن:

(٣٢) سورة السجدة الآية: ٢١ .

(٣٣) سورة التوبة الآية: ١٠١ .

(٣٤) من طريق مسروق . رواه البخارى ١٢٣/٢ ومسلم رقم ٥٨٦ (٤١١/١) وليس فيه لفظ نعم بل فيه: صدقنا عن اليهوديين اللذين أخرجتا أم المؤمنين، ورواه النسائي: (٤/٨٥، ٨٦) .

(٣٥) عن طريق عمدة رواه البخارى ٤٥/٢ ومسلم الحديث ٩٣: (٦٢١/٢) ضمن حديث طويل .

« اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر
وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة الحيا
والمات » (٣٦) ..

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« اذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب
جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات ومن فتنة المسيح
الدجال » (٣٧) ..

وفى صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال :

« بينا النبى ﷺ فى حائط بنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت
به ، فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال « من يعرف
أصحاب هذه الأقبير؟ » فقال رجل : أنا ، قال : متى مات هؤلاء؟ قال : ماتوا
فى الاشرار فقال : « إن هذه الأمة تبلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا
لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه » ..

ثم أقبل علينا بوجهه فقال :

« تعوذوا بالله من عذاب النار » ..

قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار قال :

« تعوذوا بالله من عذاب القبر » ..

قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر قال :

« تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن » ..

قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال :

تعوذوا بالله من فتنة الدجال » ..

قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال » (٣٨)

(٣٦) رواه الإمام مسلم ٥٩٠ : (٤١٣/١) وسنن النسائى (٨٥/٤) وسنن ابن
ماجه ٣٨٤٠ (١٢٦٢/٢) .

(٣٧) رواه الإمام مسلم : ٥٨٨ (٤١٢/١) والإمام أحمد برقم : ٧٢٣٦ وأبو داود
٩٨٣ وابن ماجه : ٩٠٩ (٢٩٤/١) والسائى (١٩٣/١) .

(٣٨) رواه الإمام مسلم : ٢٨٦٧ : (٤/٢١٩٩ . ٢٢٠٠) .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال :
«لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر» (٣٩) ..
وعن أبي أيوب الأنصاري قال : خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس
فسمع صوتاً فقال :

«يهود تعذب في قبورها» ..

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال :
«انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من
البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» (٤٠) ..

ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين ، ثم غرز على كل قبر منهما واحدة ،
قالوا : لم فعلت هذا يا رسول الله قال :
«لعله يخفف عنهما ما لم ييبسنا» (٤١) ..

وقد روى هذا الحديث من وجوه متعددة . وقد ثبت عن رسول الله ﷺ
أن مما يعذب عليه الإنسان في قبره من أجل :
«الغيبة والنميمة ، وعدم التنزه من البول» ..
وقد ذكر بعض العلماء :

السر في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل
الآخرة . وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب والمعاصي التي
يعاقب عليها يوم القيامة نوعان حق لله وحق لعباده وأول ما يقضى فيه يوم

(٣٩) رواه الامام مسلم : ٢٨٦٨ : (٤/٢٢٠٠) وزاد في الفتح الكبير (٥٢/٣)
نسبته لأحمد والنسائي وزاد في الكنز التمين نسبه لأبي داود ص ٤٨٣ الحديث : ٣١١٦ .
(٤٠) رواه الإمام البخاري ١٣٢/٢ ، ١٣٤ ، والإمام مسلم ٢٨٦٩ : (٤/٢٢٠٠)
راويه عن أبي أيوب هو البراء بن عازب رضي الله عنه ١ .

(٤١) رواه البخاري ١٢٤/١ والإمام مسلم رقم : ١٩٨٦ ، ١٩٨١ والنرمدي
مختصراً (٧٥ ، ٧٤/١) والنسائي (٤٢٩/١) و (٨٧) وأبو داود الحديث (٢٠) وابن
ماجه مختصراً الحديث ٣٤٧ : (١/١٢٥) وزاد المنذرى نسبه لابن حزيمة في صحيحه
[ووضع هذا الجريد على القبر كان خاصاً برسول الله ﷺ ولكن في هذا الرمن ابتدع
الناس كثيراً من البدع وليست من الصواب فمنها زيارة القبور في أيام ومواسم معينة
ووضع عليها باقة من الزهور . وكان الأجدر بهم اقتفاء أثر رسول الله في الذهاب إلى المقابر
للعظة والاعتبار والدعاء لهم بحير] ، هدايا الله وإياهم طريق الله المستقيم .

القيامة من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء، وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما. فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء النيمة والوقية في الأعراض وهما أيسر أنواع الأذى فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

ومما ذكر فيما ينجي من عذاب القبر:

الطهارة من الحدث، الجهاد والرباط والشهيد. فعن المقدم بن معديكرب عن النبي ﷺ قال:

«لشاهد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفرع الأكبر» (٤٢) ..

وعن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال:

«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» (٤٣) ..

وخرج الترمذي وأبو داود من حديث فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ معناه أيضاً (٤٤) وروى من وجوه أخرى.

فصل أنواع عذاب القبر

وقد ورد في عذاب القبر أنواع، منها الضرب إما بمطراق من حديد أو غيره أو دابة عمياء، أو تسليط الحيات والعقارب والتنين، الضرب بالصخرة العظيمة وشق الحلق بالكلوب وتضييق القبر وغير ذلك مما ثبت عنه ﷺ في عذاب القبر ونذكر منه على وجه الاختصار حديث سمرة بن جندب.

(٤٢) رواه الإمام الترمذي والحديث في الكنز النمين بلفظ (سبع خصال) وزاد سننه لابن ماجه وهو برقم: ٢٧١٩ : (٢/٩٣٦).

(٤٣) رواه الإمام مسلم: ١٩٣١ (٣/١٥٢٠) والنسائي ٦٩/٣.

(٤٤) ولفظه (كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه سمي عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر) وقال الترمذي: حسن صحيح ٢٤٩/٥، ٢٥٠ تحفه الأحوذى وسنن أبي داود ٣٩١/١ والإمام أحمد ٢٠/٦ وابن حبان ١٦٢٤ ص ٣٩١ (موارد الطمان) وفيه زيادة المجاهد من جاهد نفسه لله جل وعلا

وعن سمرة بن حنبل رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا»؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص وإنه قال لما ذات غداة: «إنه أناني آتيان، وإنهما ابنتاني. وإنهما فالألى: انطلق وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مصطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ^(٤٥) رأسه، فيبدهده^(٤٦) الحجر ها هنا فيتبع المحر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ قال: قالوا لي: انطلق قال: فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب^(٤٧) من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر^(٤٨) شدقه إلى ففاه ومخره إلى قفاه، وعنه إلى ففاه، قال: وربما قال أبو رجاء: فيسحق، قال: ثم بنحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرع من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى. قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟ قالوا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التور، قال: وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط^(٤٩) وأصوات فال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لُب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا^(٥٠)، قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالوا لي: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه^(٥١)، فيلقمه حجراً، فيطلق يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغرفاه فألقمه حجراً. قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال:

(٤٥) أي بسدح (٤٦) أي يتدحرج (٤٧) الكلوب: حديدته معوجة الرأس.
(٤٨) أي سقى (٤٩) أي سخب (٥٠) أي صاحوا فزعين.
(٥١) أي بفتح فمه.

قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجل كرهه المرأة كأكره ما أنت راء رجلا مرآة ، وإذا عنده نار يخشها^(٥٢) ويسعى حولها ، قال : قلت لهما . ما هذا؟ قال : قال لي : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة^(٥٣) فيها من كل نور^(٥٤) الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قال : قلت لهما : ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال : قال لي : انطلق انطلق قال : فانطلقنا فانتهبنا : إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن ، قال : قال لي : ارق ، فارتقيت فيها قال : فارتقينا فيها فانتهبنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا ، فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء ، قال : قال لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، قال : وإذا نهر معترض يجرى كأن ماءه المحض^(٥٥) في البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة ، قال : قال لي : هذه جنة عدن وهذا منزلك ، قال : فسما بصرى سعدا ، فإذا قصر مثل الربابة^(٥٦) البيضاء قال : قال لي : هذا منزلك قال : قلت لهما : برك الله فيكما ذراني فأدخله قال : أما الآن فلا ، وأنت داخله ، قال : قلت لهما : فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً فما هذا الذي رأيت؟ قال : قال لي إنا سنخبرك ، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شذقه إلى قفاه ، ومنخره وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا وأما الرجل الكرهه المرأة الذي عند النار يخشها

(٥٢) أي يوقدها (٥٣) أي طويلة النبات (٥٤) أي زهر

(٥٥) أي الخالص (٥٦) الربابة : أي السحابة البيضاء .

ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه ابراهيم صلى الله عليه وسلم وأما الولدان الذين حولهم فكل مولود مات على الفطرة» قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسناً وشطر قبيحاً، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم» رواه البخاري (٥٧) ووقع التصريح بعذاب البرزخ في رواية أخرى عند البخاري قال: «أما الذي رأيت يشق شدة فكذا يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، والذي رأيت يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة..» (٥٨).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» (٥٩).

وقد ورد ما يدل على أن التضييق في القبر عام للمؤمن والكافر، وصرح بذلك طائفة من العلماء منهم ابن بطة وغيره فروى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا منها سعد بن معاذ» (٦٠).

وخرّج النسائي من حديث نافع عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«هذا الذي تحرك له العرش»..

«أى سعد بن معاذ»..

(٥٧) الفتح: ٩٩/١٦ (٥٨) الفتح: ٤٩٥/٣.

(٥٩) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٤/٣ وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير ٥١/٥.

(٦٠) قال الحافظ العراقي إسناده جيد. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

«وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضُمَّ
ضمة ثم فُرِّجَ عنه» (٦١) ..

فصل

في نعيم القبر (٦٢)

وأما نعيم القبر فقد دل عليه قوله تعالى:

«فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ . فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ» ..

وقد تقدم في بعض حديث البراء بن عازب ص ٩ جانب من هذا النعيم.

فيما ورد من سماع الموتى كلام الأحياء
ومعرفتهم بمن يسلم عليهم ويزورهم ، ومعرفتهم
بجألهم بعد الموت ، وحال أقاربهم في الدنيا

عن أنس عن أبي طلحة قال : لما كان يوم بدر وظهر عليهم نبي الله ﷺ أمر
ببضعة وعشرين - وفي رواية أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فألقوا في
طوى من أطواء بدر فقام رسول الله ﷺ قال :

(٦١) أى كضمة الأم الحنون، ورجال الحديث ثقات محتج بهم في الصحيح. قاله

المدارسي سنن النسائي ٤ / ٨٢.

(٦٢) من أقوال السلف رضوان الله عليهم في صفة القبر:

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في
نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو
معذبة انظر بالتفصيل مجموع الفتاوى ٤ / ٢٨٤.

وقال الإمام النووي: اعلم أن مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه
دلائل الكتاب والسنة، وانظر كتاب «الاسلام يتحدى» لوحيه الدين خان.

« يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة
أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعد ربي حقاً » .
فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال:
« والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » (٦٣) ..

وفي صحيح مسلم من حديث أنس نحوه من غير ذكر أبي طلحة. وفي
حديثه قال:

« والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدر أن
يجيبوا » (٦٤) ..

وفيه أيضاً عن أنس، عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ هذه القصة
بمعناها (٦٥) .

وعن ابن عمر قال:

« اطلع النبي ﷺ على أهل القلب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ » ..
قيل له: أتدعو أمواتاً؟ قال:

« ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون » ..

وفي رواية قال:

« إنهم الآن يسمعون ما أقول » (٦٦) ..

وقد أنكرت عائشة ذلك كما في الصحيحين عن عروة عن عائشة أنها قالت:

قال رسول الله ﷺ:

« إنهم ليسمعون الآن ما أقول » ..

(٦٣) رواه الإمام البخاري ٩٧/٥ ومسلم الحديث: ٢٨٧٥ . (٢٢٠٢/٤) .

(٦٤) صحيح الإمام مسلم الحديث: ٢٨٧٤ : (٢٢٠٢/٤) .

(٦٥) صحيح الإمام مسلم الحديث: ٢٨٧٣ : (٢٢٠٢/٤) .

(٦٦) صحيح الإمام البخاري ٩٨/٥ ومسلم الحديث: ١٩٣٢ (٦٤٣/٢) وفيه رد

أم المؤمنين .

«وهدوهم» يعني ابن عمر - قال :

انهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم أنه حق ثم قرأت قوله تعالى :

«انك لا تُسمعُ الموتى» (٦٧) ..

«وَمَا اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» (٦٨) ..

وقد وافق عائشة على نفى سماع الموتى كلام الأحياء طائفة من العلماء ورجحه القاضي أبو يعلى واجتمعوا بما احتجت به عائشة رضى الله عنها، وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي ﷺ دون غيره، وهو سماع الموتى كلامه وفي صحيح البخارى قال قتادة: أحياهم الله تعالى [يعنى أهل القلب] حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً (٦٩).

وقد ذهب طوائف من أهل العلم لإثبات السماع وهم الأكثرون وهو اختيار الطبرى وهم يحتجون بحديث القلب، وان ابن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممن قد شهد القصة حكياه عن النبي ﷺ، وعائشة لم تشهد ذلك وروايتها عن النبي ﷺ أنه قال :

«انهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم حق» ..

يؤيد رواية من روى: إنهم ليسمعون، ولا ينافيه، فإن الميت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال :

«إن العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم»

وقد سبق ذكره.

~ * ~

(٦٧) سورة النمل الآية: ٨٠

(٦٨) سورة فاطر الآية: ٢٢ والحديث رواه الامام البخارى ٩٨/٥ ومسلم ١٩٣٢ [٦٤٢/٢].

(٦٩) صحيح البخارى ٥٧/٥ وقد تقدم، وما بين المعكوفين لزيادة الايضاح.

رد شبه عدم سماع الموتى

أما قوله تعالى :

« انك لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى » (٧٠) ..

وفوله تعالى :

« وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ » (٧١) ..

فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضاً الانتفاع به والاستجابة له. والمراد بهذه الآيات نفى الثاني دون الأول، فإنهما في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى ولا للإيمان إذا دعوا إليه كما قال تعالى :

« وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا » (٧٢) ..

فنفى سبحانه السماع والأبصار عنهم لأن الشيء قد ينفى لانتفاء فائدته وثمرته فإذا لم ينتفع المرء بما يسمعه ويبصره فكأنه لم يسمع ولم يبصر، وسماع الموتى هو بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفار لمن دعاهم إلى الإيمان والهدى. وقول قتادة في أهل القليب: أحياهم الله حتى أسمعهم، يدل على أن الميت لا يسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده: وبذلك قال طوائف كثيرة من السلف لأنه لا يسأل في قبره إلا بعد إعادة الروح إلى جسده، كما جاء ذلك مصرحاً به في حديث البراء بن عازب المتقدم ص ٩ وفيه :

« وتعاد الروح في جسده » ..

أما ارتباط الروح بالجسد بعد الموت :

فإن حياة الروح ليست حياة تامة مستقلة كحياة الدنيا وكالحياة الآخرة

(٧٠) سورة النمل الآية : ٨٠ (٧١) سورة فاطر الآية : ٢٢ (٧٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٩

بعد البعث، وإنما فيها نوع اتصال الروح في البدن بحيث يحصل بذلك شعور البدن وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما وليس هو حياة تامة حتى يكون انفصال الروح يعد موتاً تاماً وإنما هو شبيه بانفصال روح النائم عنه ورجوعها إليه فإن ذلك يسمى موتاً وحياة كما كان يقول رسول الله ﷺ إذا استيقظ: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور» (٧٣) ..

وقد سماه الله تعالى وفاة لقوله تعالى:

«اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ» (٧٤) ..

ومع ذلك فلا ينافي أن يكون النائم حياً، وكذلك اتصال روح الميت بيده وانفصالها عنه لا توجب أن يصير حياً حياة مطلقة، ومن رجع [السؤال والنعيم والعذاب للروح في القبر] ابن عقيل (٧٥) وأبو الفرج بن الجوزي. ويدل على ذلك ما أخبر الله من شهادة الجلود والأعضاء يوم القيامة (٧٦). وما روى عن ابن عباس في اختصام الروح والجسد يوم القيامة فإنه يدل على أن الجسد يخاصم الروح ويكلمها وتكلمه، ومما يدل على وقوع العذاب على الأجساد الأحاديث الكثيرة في تضيق القبر على الميت حتى تختلف اضلاعه، ولأنه لو كان العذاب على الروح خاصة لم يختص العذاب بالقبر ولم ينسب إليه. وقد ثبت أن عمرو بن العاص لما حضره الموت قال في وصيته: إذا دفنتموني فسنوا على التراب سناً ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي (٧٧).

(٧٣) صحيح البخارى ٨٨/٨ من طريق حذيفة وأنى در ورواه مسلم ٢٧١١

(٤/٢٠٨٣) عن البراء.

(٧٤) سورة الزمر الآية: ٤٢.

(٧٥) أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد البغدادي انتهت إليه الرئاسة في علوم شتى توفي

سنة ٥١٣ (انظر المطلع لابن أنى الفتح البعلى الحنبلى).

(٧٦) قال تعالى [حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما

كانوا يعملون] سورة فصلت: ٢٠.

(٧٧) صحيح مسلم الحديث ١٢١ = (١٢٠/١).

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال :
« إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة
قالت : قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها : يا ويلها أين تذهبون بها
يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق » (٧٨) ..
وفي هذا نفي للاجابة المعهودة التي يسمعونها الأحياء لعدم تأهيلهم لسماع
مثل هذه الأصوات .

* * *

ذكر محل أرواح الموتى في البرزخ

أما الأنبياء عليهم السلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله في أعلى
عليين ، وقد ثبت في الصحيح أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند
موته :

« اللهم الرفيق الأعلى » ..

وكررها حتى قبض (٧٩) .

أما الشهداء : فعن مسروق قال : سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية :
« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرزَقُونَ » (٨٠) ..

قال أما إنا قد سألتنا عن ذلك فقال :

« أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة
حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل
تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أى شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل

(٧٨) صحيح الإمام البخارى ١٠٨/٢ وزاد في الفتح الكبير نسبه لأحمد والنسائي .

(٧٩) صحيح الإمام البخارى : ١٨/٦ (٨٠) سورة آل عمران الآية : ١٦٩ .

ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» (٨١) ..

وعن جابر قال: قال رحل يوم أحد: أين أنا إن قتلت با رسول الله؟ قال: «في الجنة» فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل (٨٢) ..

وقد يطلق الشهيد على من حقق الإيمان وشهد بصحته بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» (٨٣) ..

وقد ذكرت الآيات تحدد مكان الروح ففي قوله تعالى: «إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ . كِتَابٌ مَّرْقُومٌ» (٨٤) ..

وقوله تعالى:

«إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ» (٨٥) .

وقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً» (٨٦) ..

وخرج ابن أبي الدنيا من حديث قسامة بن زهير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضباط الریحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين وتقول: أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية مرضياً عنك إلى رضوان الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك، وطويت عليها الحريرة، وبعث بها إلى عليين

(٨١) صحيح الإمام مسلم الحديث: ١٨٨٧ : (٣/١٥٠٢) .

(٨٢) صحيح الإمام البخاري ١٢١/٥ وصحيح مسلم الحديث ١٨٩٩ : (٣/١٠٥٩) .

(٨٣) سورة الحديد الآية: ١٩ وقد روى الامام مالك والسيخان والرمذى من

حديث أوى هريرة مرفوعاً [الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق،

وصاحب الهدم، والشهد في سبيل الله] على اختلاف درحاتهم .

(٨٤) سورة المطففين الآية: ١٨ - ٢٠ .

(٨٥) سورة المطففين الآية: ٧، ٨، ٩ (٨٦) سورة الفجر الآية: ٢٧، ٢٨ .

وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتتزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فإن لها نشيثاً ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين» (٨٧) ..

وقالت طائفة: أرواح بنى آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله وهذا يسند له بما في الصحيحين عن أنس عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة» ..

فذكر الحديث وفيه:

«فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعلى يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى» (٨٨) ..

وذكر بقية الحديث وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ» (٨٩) ..

ولكن معناه أن آدم عليه السلام في السماء الدنيا يفتح له بابان في الجنة والنار ينظر منهما إلى أرواح ولده فيهما وقد رأى ﷺ الجنة والنار في صلاة الكسوف وهو في الأرض.

(٨٧) رواه الإمام مسلم الحديث: ٢٨٧: (٢٢٠٢/٤).

(٨٨) صحيح البخارى باب كيف فرضت الصلوات في الاسراء ٩٧/١ وصحح مسلم باب الاسراء من كتاب «الايان».

(٨٩) سورة الأعراف الآية: ٤٠.

ويشهد لذلك رؤيته صلى الله عليه وآله لآدم عليه السلام في السماء في رحلة المعراج، وذكر عن ابن عباس (٩٠) أنه سئل أين تكون الأرواح إذا فارقت الأجساد؟ فقال: أين يكون السراج إذا طفئ والبصر إذا عمى ولحم المريض إذا مرض؟ (٩١).

(٩٠) في نسبة هذا الكلام لابن عباس نظر.
(٩١) وخلاصة الكلام في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة:
قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: والأرواح متفاوتة في مستقرها في البرح أعظم تفاوت، فمنها أرواح في عليين في الملائكة الأعلى وهي أرواح الأنبياء. هم متفاوتون في منازلهم كما رأهم صلى الله عليه وآله ليلة الإسراء.
* ومنها الأرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وهي أرواح بعض الشهداء لأن منها ما تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه.
* ومنهم من تكون روحه محبوسة على باب الجنة.
* ومنهم من تكون روحه محبوسة في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال عنه صلى الله عليه وآله «والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره». * ومنهم من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه الإمام أحمد.

* ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تغل روحه إلى الملائكة الأعلى فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأحوالها.
* ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح. ثم قال رحمه الله:

وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، وأن النفس وأحكامها لها شأن غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وأنها تنقسم إلى مرسله ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صبحه ومرض ولذة ونعيم وألم. فهناك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهناك اللذة والراحة والنعيم. فلهذه النفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها:

الدار الأولى: بطن الأم وما فيها من الظلمات الثلاث..
الدار الثانية: بعد الولادة وما فيها من عمل صالح أو غيره.
الدار الثالثة: وهي دار البرزخ إلى يوم القيامة.
الدار الرابعة: هي دار القرار وهي الجنة أو النار بتصرف من كتاب الروح للإمام ابن قيم الجوزية ص ١١٥ : ١١٧.

أقوال السلف في ظلمة القبر

قال ابن المبارك وحدثنا صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا في جنازة علي باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تغتمون فيه الحسنات والسيئات توشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشر إلى القبر - بيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الضيق إلا ما وسع الله ثم تنفلون منه إلى يوم القيامة.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سلمة بن سعيد قال: كان هشام الدستوائي إذا ذكر الموت يقول: القبر، وظلمة القبر، ووحشة القبر، فلما مر بعض إخوانه إلى جنبات قبره قال: يا أبا بكر والله صرت إلى المحذور.

وقال الحسن بن البراء حدثني عبد الوهاب بن غياث حدثني جمعة جارة لهشام المردوسي قالت: كان هشام إذا رجع من جنازة لم يتعش تلك الليلة وكان لا ينام إلا في بيت فيه سراج قال فطفئ سراجي ذات ليلة فخرج هاربا فقيل له: ما شأنك؟ قال: ذكرت ظلمة القبر.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن وهيب بن الورد قال: نظر ابن مطيع يوماً إلى داره فأعجبه حسناتها فبكى ثم قال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته.

وإسناده عن الفيظ بن إسحاق قال: قال لي الفضيل بن عياض: أرأيت لو كانت لك الدنيا فقيل لك: تدعها ويوسع لك في قبرك ما كنت تفعل؟ قال فقال فضيل أليس تموت وتخرج من أهلك ومالك. تصير إلى القبر وضيقه وحدك ثم قال: (فما له من قوة ولا ناصر) ثم قال: إن كنت لا تعقل هذا فما في الأرض دابة أحق منك..

وقال في كتاب «الغزاة»: حدثنا حسن بن عبد الرحمن عن رجل قال:

دخلت على رجل بالمصيصة في بيته فيه فرشه وقماته فقلت: أما يضيق صدرك من هذا فبكي وقال: إذا ذكرت القبر وظلمته وضيقه اتسع هذا عندي ولهيت عن غيره. وقال أبو الحسن بن البراء أنشدنا إسماعيل بن إدريس السمار لأبي العتاهية يبكي على نفسه في مرثية:

لَأَبْكِيَنَّ عَلَى نَفْسِي وَحَقَّ لِيهِ .. يَا عَيْنُ لَا تَبْخُلِي عَنِّي بِعَبْرَتَيْهِ
لَأَبْكِيَنَّ لِفُقْدَانِ الشَّبَابِ فَقَدْ .. جَدَّ الرَّجُلُ عَنِ الدُّنْيَا بِرَحْلَتَيْهِ
يَأْنَى مُنْتَجِمِي يَا هَوْلَ مَطْلَعِي .. يَا ضَيْقَ مُضْطَجِعِي يَا بُعْدَ شَقَّتَيْهِ
المَالُ مَا كَانَ قَدَّاسِي لِآخِرَتِي .. مَا لَا أَقْدَمُ مِنْ مَالِي فَلَيْسَ لِيهِ

زيارة الموتي والاتعاظ بهم

عن بريدة عن النبي ﷺ قال:

«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فروروها [فإنها تذكركم الآخرة]» (٩٢).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«استأذنت ربي أن أزور قبر أمتي فأذن لي فروروها فإنها تذكر الموت» (٩٣) ..

وعن نعيمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقابر فلما نظر إلى القبور بكى ثم قال: يا أيوب هذه قبور آبائي بنى أمية، كأنهم لم يشركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشتهم، أما تراهم صرعى فدخلت بهم المثلات، واستحكمت فيهم البلاء، وأصابته الهوام في أبدانهم مقيلا، ثم بكى حتى غشى عليه ثم أفاق فقال: فانطلق بنا فوالله ما أعلم أحد أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد آمن من عذاب الله عز وجل. وعن ثابت البناني أنه دخل المقابر فبكى فقال: بليت أجسامهم وبقيت أخبارهم فالعهد قريب، واللقاء بعيد.

(٩٢) رواه الإمام مسلم الحديث ٩٧٧ [٦٧٢/٢] وقال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام ٢٠٦/٢ أن الزيادة عند الترمذي ورواه النسائي ٧٣/٣ بلفظ مسلم وزاد [ولا تقولوا هجراً].

(٩٣) رواه الإمام مسلم الحديث ٩٧٦: (٦٧١/٦) والإمام النسائي (٧٤/٤).

وعن بعض الأعراب أنه وقف على قبر وأنتد في المعنى:

لِكُلِّ أَنَاَسٍ مَقْبَرٌ بِفَنَائِهِمْ .. فَهَمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورَ تَزِيدُ
وَمَا إِنْ تُرَى دَارًا لِحَى قَدْ أَقْفَرَتْ .. وَقَبْرٌ لِمَيْتِهِ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
فَهُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا مَجْلَهُمْ .. فَدَانُ وَأَمَا الْمَلْتَقَى فَبَعِيدُ

ومما يروى عن يحيى عن عبد الله بن جعفر بن سليمان أمير البصرة فمر به رجل كان يعظ الناس فقال له عبد الله: عظني بيب من الشعر فقال:

إِنْ تَوَى فِي الْقُبُورِ ذُو خَطَرِهِ .. فَذَرُهُ فِيهَا وَلَا تَنْظُرْ إِلَى خَطَرِهِ

فبكى عبد الله بن جعفر وكان ابن السماك يتمثل بهذا البيت ويزيد فبه:

أَبْرَزُهُ الْمَوْتُ مِنْ مَسَاكِنِهِ .. وَمِنْ مَقَاصِيرِهِ وَمِنْ حُجْرِهِ

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسماعيل بن عبد الله العجلي قال: أنشدنا رجل

ونحن بالمقابر:

أَلَا يَا عَسْكَرَ الْأَحْيَاءِ .. هَذَا عَسْكَرُ الْمَوْتَى
أَجَابُوا الدَّعْوَةَ الصُّغْرَى .. وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْكُبْرَى
يَحْتُونَ عَلَى الزَّادِ .. وَمَا زَادَ سِوَى التَّقْوَى
يَقُولُونَ لَكُمْ جَدُّوا .. فَهَذَا آخِرُ الدُّنْيَا (٩٤)

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سلام بن صالح قال: فقد الحسن ذات يوم فلما أمسى قال له أصحابه: أين كنت؟ قال: كنت اليوم عند إخوان لي إن نسيت ذكروني، وإن غبت عنهم لم يغتابوني، فقال له أصحابه: نعم الإخوان والله هؤلاء يا أبا سعيد دلنا عليهم قال: هؤلاء أهل القبور. وقيل لأحدهم: ما أعجب إلى منزلك قلت: وما يعجبك من منزلي وهو عند القبور؟ قال: وما عليك يكفون الأذى، ويذكرون الآخرة.

(٩٤) نفس الأبواب في كتاب «روضة العقلاء» ص ٢٨٧ من طريق اس أنى الدسا

والذى فبه وهم منتظرون الكبرى.

وعن الفضل الرقاش أنه كان إذا ذكر زهد في الدنيا يقول: مررت بالمقابر فوقفت فناديت: يا أهل الشرف والغناء والتباهي، يا أهل اللباس والنجدة والأمن والزجول ويا أهل المسئلة والحاحة والفاقة ويا أهل النسك والإحبات والإنابة والاجتهاد فما ردت على فرقة منهم، ولعمري إن لم يكونوا أجابوا جواباً لقد أجابوا اعتباراً.

وعن عاصم الحيطي قال: كنت أمشي مع محمد بن واسع، فأتنا المقابر، فدمعت عيناه، ثم قال: يا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمورهم، فكأنهم وقد وثبوا من هذه الأجداث، فمن بين مسرور ومسموم.

وعن عطاء السلمي أنه كان إذا جن عليه الليل خرج، فوقف على القبور، ثم قال: يا أهل القبور متم فواموتاه ثم بكى ثم قال: يا أهل القبور عاينتم ما علمتم فواعملاه ثم بكى، فلا يزال كذلك حتى يصبح.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن محمد بن صالح التمار قال: كان صفوان بن سليم يأتي البقيع في الأيام، فمر بي فاتبعته ذات يوم وقلت: والله لأنظرن ما يصنع قال: والله فرفع رأسه وجلس إلى قبر منها فلم يزل يبكي حتى رحمته قال: ظننت أنه قبر بعض أهله، قال: فمر بي فاتبعته فقعد إلى جانب قبر غيره فقال مثل ذلك، قال: فذكرت ذلك لمحمد بن المنكدر وقلت: إني ظننت أنه قبر بعض أهله، وقال محمد: كلهم أهله وإخوان إنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة، ثم جعل محمد بن المنكدر يمر بي فيأتي البقيع فسلمت عليه ذات يوم، فقال: ما يقنعك موعظة صفوان؟ قال: فظننت أنه انتفع بما ألقى إليه منها.

قال ابن أبي الدنيا ثنا محمد بن الحسين قال: قال أبو إسحاق: شهدت جنازة رجل من إخواني منذ خمسين سنة فلما دفن وسوى عليه التراب وتفرق الناس جلست إلى بعض تلك القبور ففكرت فيما كانوا فيه من الدنيا وانقطاع ذلك كله عنهم فأنشدت أقول:

سَلَامٌ عَلَيَّ أَهْلَ الْقُبُورِ الدَّارُوسِ .. كَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
 وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرْبَةً .. وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْ بَيْنِ رَطْبٍ وَيَابَسِ
 إِلَّا خَبَّرُونِي: أَيْنَ قَبْرُ ذَلِيلِكُمْ .. وَقِيَّةُ الْعَزِيزِ الْبَادِخِ الْمَتَمَارِسِ
 وَغَلَبْتَنِي عَيْنَايَ فَقَمْتُ وَأَنَا مَحْزُونٌ.

قال ابن أبي الدنيا وأنشد الرياشي رحمه الله تعالى أبياتاً خمسة فقال:
 تَهِيحُ مَنَازِلُ الْأَمْوَاتِ وَجَدَاً .. وَبِحَدُثٍ عَن رُؤْيَيْهَا اكْتِسَابُ
 مَنَازِلٍ لَا تُجِيبُكَ حِينَ تَدْعُو .. وَعَزَّ عَلَيْكَ أَتَّكَ لَا تُجَابُ
 وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ تَدْعُوهُ مَيِّتاً .. تَضَمَّنْتَ الْجَنَادِلَ^(٩٥) وَالسَّرَابَ
 مُقِيمٌ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ خَلْقَهُ .. لِقَاؤُكَ لَا يُرْجَى وَأَنْتَ قَرِيبُ
 تَزِيدُ بِلَيِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .. وَتُنْسَى كَمَا تُبْلَى وَأَنْتَ حَيِّبُ

وخرج ابن ماجه والترمذى من حديث هانىء مولى عثمان قال: كان عثمان
 إذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكى
 وتبكى من هذا قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج
 منه فما بعده أشد منه» ..

قال وقال رسول الله ﷺ:

«ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفضح منه»^(٩٦) ..

ومما قيل: يا أخى علمت أن الأجساد فى القبور تبلى وأن الأعمال فى الآخرة
 تحيا قلت: يبلون حتى لا يبقى منهم شيء ثم يجيئون يوم القيامة، أى والله يا
 أخى يبلون حتى يصيرون رفاتاً ثم يحيون عند الصيحة كأسرع من اللهم وأنشد
 بعضهم:

(٩٥) فى الحاشية: جمع جندل .. بفتح الجيم والنون وكسر الدال .. مكان فيه حجر أو
 مكان فيه حجر مدور.

(٩٦) سنن ابن ماجه ٤٢٦٧: (٤٢٦/٢) وتحفة الأحوذى: ٩٥/٦ وقال
 الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف وروى الحديث
 الحاكم فى المستدرک (٣٣٠/٤، ٣٣١) وصحح اسناده هو والذهبي.

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثَّرَى مَا حَالُهُ .. أَمْسَى وَقَدْ رَثْتُ هُنَاكَ حِبَالَهُ
أَمْسَى وَلَا رُوحَ الْحَيَاةِ تُصِيبُهُ .. أبدأ وَلَا لَطْفَ الْحَبِيبِ يَنَالَهُ
أَمْسَى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ .. وَتَفَرَّقَتْ فِي قَبْرِهِ أَوْصَالَهُ
وَاسْتَدَلَّتْ مِنْهُ الْمَجَالِسُ عِبْرَةً .. وَتَقَسَّمَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَمْوَالَهُ
مَا زَالَتْ الْأَيَّامُ تَلْعَبُ بِالْغِنَى .. وَالْمَالُ يَذْهَبُ صَفْوَهُ وَحَلَالَهُ

وروى البراء بإسناده عن الفضيل بن عياض قال: رأيت رجلاً يبكي،
قلت: وما يبكيك؟ قال: أبكاني كلامه، قلت: ما هو؟ قال: كنا وقوفاً في
المقابر فأنشدوا:

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَسَأَلْتَهَا .. أَيْنَ الْمُعْظَمُ وَ الْمُحْتَقِرُ
وَأَيْنَ الْمَذَلُّ بِسُلْطَانِهِ .. وَأَيْنَ الْقَوِيُّ إِذْ مَا قَدِرُ
فَفَنُوا جَمِيعاً فَمَا مُجِبِرٌ .. وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْحَبِيرُ
فِيَسْأَلِنِي عَنْ أَنَسٍ مَضُوعاً .. أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبِرُ
تُرُوحُ وَتُعْدُو وَأَبْلَاكَ الثَّرَى .. فَتَمَحُّو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورُ

وروى ابن البراء أيضاً بإسناده أن قبراً أصيبت عليه هذه الأبيات مكتوبة:

الْمَوْتُ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِ مَمْلَكَتِي .. فَالْثَرَابُ مَضْجَعِي مِنْ بَعْدِ تَرْفِي
لِلَّهِ عَبْدٌ رَأَى قَبْرِي فَأَعْبَرَهُ .. وَخَافَ مِنْ دَهْرِهِ رَبِّبَ التَّصَارِيفِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ حَنْقِي .. وَأَسْأَلُ اللَّهَ فَوْزِي يَوْمَ تَوْفِيقِي
هَكَذَا مَصِيرُ بَنِي الدُّنْيَا وَإِنْ نَعَمُوا فِيهَا .. وَغَرَّهُمْ طُولُ التَّسَاوِيفِي

وروى ابن أبي الدنيا بإسناد له أنه قرأ على قبر بشيراز:

ذَهَبَ الْأَحْبَةُ بَعْدَ طُولِ تَوَدُّدٍ .. وَنَأَى الْمَزَارُ فَأَسْلَمُوكَ وَاتَّشَعُوا
حَذَلُوكَ أَفْقَرَ مَا تَكُونُ بَعْرَبَةً .. لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكَرَبِكَ لَمْ يَدْفَعُوا
قَضَى الْقَضَاءُ وَصِيرَتْ صَاحِبَ حُفْرَةٍ .. عِنْدَ الْأَحْبَةِ عَرَضُوا وَتَصَدَّعُوا

وبإسناد له قال قرىء على قبر بمقابر البصرة مكتوب:

يَا غَافِلَ الْقَلْبِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَنِيَّاتِ .. عَمَّا قَلِيلٍ سَتَتَوَى بَيْنَ أَمْوَاتِ
فَإذْ كُرَّ مَحَلِّكَ قَبْلَ الْحُلُولِ بِهِ .. وَثَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ لَهْوٍ وَمَلَدَاتِ
إِنَّ الْحُمَامَ لَهُ وَقْتُ إِلَى أَحَدٍ .. فَإذْ كُرَّ مَصَائِبِ أَيَّامٍ وَسَاعَاتِ
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا .. قَدْ حَانَ لِلْمَوْتِ يَا ذَا اللَّبِّ أَنْ يَأْتِي
ومما قرىء مكتوباً أيضاً:

سَتَّعِرُضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسِي مَوَدَّتِي .. وَيُحَدِّثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلٌ
وَأَيْضاً:

إِذَا مَا نَقَصَتْ يَوْمًا مِنَ الْعَيْشِ مَدَّتِي .. فَإِنَّ أَغْنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلٌ
وَأَيْضاً:

مَا صَحِبَ الْإِنْسَانَ فِي قَبْرِهِ .. مِثْلَ التَّقَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ
وَأَيْضاً:

أَنَا فِي الْقَبْرِ وَحِيدٌ قَدْ تَبَرَّأْتُ الْأَهْلَ مِنِّي .. اسْتَلْمُونِي لِلدُّنَى، خِفْتُ أَنْ لَمْ يَغْفُ عَنِّي
وَقَرَأَ أَيْضاً:

لَقَدْ وَقَفْتُ كَمَا وَقَفْتُ .. وَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا اعْتَبَرْتُ
حَصِّلْ لِنَفْسِكَ مَنَزَلًا .. قَبْلَ الْحُصُولِ كَمَا حُصِّلَتْ

استحباب تذكُّر القبور والتفكير في أحوالهم وذكر أحوال السلف في ذلك

عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال (٩٧):

« استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: انا نستحي والحمد لله، قال: ليس ذلك
ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وأن تحفظ البطن
وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل
ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» ..

وخرج الترمذی من حديث ابن عمر قال:

أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال:

(٩٧) مسند الإمام أحمد ٢٧٣/١، تحفة الأحوذى ١٥٤/٧ الحديث ٢٥٧٥ قال
الترمذی: غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وزاد الشارح نسبته للبيهقي. ورواه الحاكم في
المسندرك ٣٢٣/٤ (وصحح إسناده الذهبي).

« كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (٩٨) ..

من مواعظ عمر بن عبد العزيز :

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي سريح الشامي قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه : يا فلان قد أرققت الليل متفكراً ، قال : فيم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه ، لو رأيت الميت بعد ثلاثة في القبر لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الرائحة ومبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الرائحة ونقاء الثوب قال : ثم شهق خر مغشياً .

وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده أن عمر بن عبد العزيز شيع مرة جنازة من أهله ، ثم أقبل على أصحابه ووعظهم ، فذكر الدنيا فدمها ، وذكر أهلها ، وتعمهم فيها ، وما صاروا إليه بعدها من القبور ، فكان من كلامه أنه قال : إذا مررت بهم فنادهم إن كنت منادياً ، وادعهم ان كنت داعياً ، ومر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم ، سل غنيهم : ما بقي من غناه ، وسل فقيرهم . ما بقي من فقره ، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون ، وسلهم عن الجلود الدقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان تحت الأكفان ، وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه ، ومحت المحاسن ، وكسرت الفقارة ، وبانت الأعضاء ،

(٩٨) رواه الامام البخارى ١١٠/٨ وفي فتح البارى الحديث برقم ٦٤١٦ .
ونقل الحافظ ابن حجر في فتح البارى شرح العلماء لهذا الحديث الجليل فقال :.... قال الطيبي شبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه ، ثم ترقى وأضرب عنه في (عابر سبيل) لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة ، بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينها أودية ومفاوز مهلكة وقطاع طرق فالمغادر من شأنه ألا يقيم لحظة ولا يسكن لحظة ، ومن ثم عقبه بقوله (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح) إلى آخره .
وقال النووي : معنى الحديث لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه أ . هـ .

ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم، وقبايهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم وكنوزهم
وكأهم ما وطئوا فراشاً، ولا وضعوا هنا متكئاً، ولا غرسوا شجراً ولا
أنزلوهم من اللحد قراراً، أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم
سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة،
وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوههم نالية، وأجسادهم من أعناقهم بائنة،
أوصالهم ممزقة، وقد سالت الحدق على الوجنات، وامتألت الأفواه دماً
وصديداً، ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا
إلا يسيراً حتى عادت العظام رميمياً، فقد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السعة إلى
المضائق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت
القربات ديارهم وقراهم فمنهم والله الموسع له في قبره الغض الناظر فيه المنعم
بلذته؟ يا ساكن القبر غداً ما الذي غرك في الدنيا. أين دارك الفيحاء ونهرك
المطردي؟ وأين ثمارك الينعة؟ وأين رفاق ثيابك وأين طيبك ونحورك، وأين
كسوتك لصيفك ولشتائك، أما رأيت قد زل به الأمر، فما يدفع عن نفسه
دخلا وهو يرشح عرقاً، ويتلمط عطشاً، يتقلب في سكرات الموت وغمراته،
جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، هيهات: يا مغمض الوالد
والأخ والولد، وغاسله، يا مكفن الميت ويا مدخله في القبر، وراجعاً عنه،
ليت شعري بأي خديك بدأ البلى، يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت:
ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني
به من رسالة ربي.

ثم انصرف فما عاش بعد ذلك إلا جمعة.

وقد روى عنه من وجوه متعددة أنه قال في آخر خطبة خطبها «ألا ترون
أنكم في أسلاب المهالكين، ثم يرثها بعدكم الباقون كذلك حتى يرد إلى خير
الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً قد قضى نحبه فتودعون، وتدعون
في صدع من الأرض غير ممهد ولا موسد، قد فارقه الأحباب وخلع الأسباب
وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلى ما قدم».
وكان بنشد هذه الأبيات:

مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جِهَتَهُ .. أَوْ الْعُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنَ وَالشَّعْنَ
 وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتِهِ .. فَكَيْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدَا
 فِي ظِلِّ مُقْفَرَةٍ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ .. يُطِيلُ نَحْتِ الشَّرَا فِي غَمِّهِ اللَّبَا
 تَجْهَزِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ .. يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُحْلَقِ عِبْنَا
 فرحم الله عمر بن عبد العزيز وغفر الله له .

قال النضر بن المنذر لإخوانه: زوروا الآخرة بقلوبكم، وشاهدوا الموقف
 بتوهمكم، ويوسدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أن ذلك كائن لا محالة فاحذر
 لنفسه امرؤ ما أحب من المنافع والضرر.

وعن عبد الله بن المبارك: مر برجل راهب عند مقبرة ومزبلة، فناده فقال:
 يا راهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيها معتبر:
 كنز الأموال وكنز الرجال.

ومما يروى لابن المبارك:

إِنَّ الذِّى دَفَّنَ الْأَبَاعِدَ .. وَالْأَقْرَبِينَ صَاغِرًا فَصَاعِبِدَا
 عَسَاكَ يَوْمًا تُذَكَّرُ الْمَلَاجِدَا .. يَا مَنْ يَرْمَى أَنْ يَكُونَ خَالِدَا
 شَرِبْتَ فَاعْلَمْهُ حَدِيدًا بَارِدَا .. لِأَبَدٍ تَلْقَى طَيِّبًا وَزَائِسِدَا
 قال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

لَيْسَ لَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ مَنْ بَكَى .. وَلَا تَنْسِينُ الْقَبْرِ يَوْمًا وَلَا الْبَلَى
 كَفَى حُزْنًا يَوْمًا تَرَى فِيهِ مَكْرَمًا .. كَرَامَتُهُ أَنْ يَرْتَدُوا جِسْمَهُ الثَّرَى

ذكر كلمات منتخبة من كلام السلف

في الانعاظ بالقبور، وما ورد عنهم من ذلك من منظوم ومنثور .

قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول في
 خطبته: أين الوضاعة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، الذين كانوا لا يعطون
 الغلبة في مواطن الحرب، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان قد تضعضع
 بهم، وصاروا في ظلمات القبور الوحى الوحى النجا النجا .

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن أنه مر بشاب، وعليه بردة له حسنة فقال: ابن آدم معجب بشبابه، معجب بحمالة كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك لاقيت عملك، ويحك ذأو قلبك، فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم. وعن عبد الله بن العيزار قال: لابن آدم بيتان: بيت على ظهر الأرض، وبيت في باطن الأرض فعمل للذي على ظهر الأرض فزخرفه وزينه وجعل فيه أبواباً للشمال، وأبواباً للجنوب، وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه، ثم عهد إلى الذي في بطن أرض فأخربه، فأتى عليه آت فقال: رأيت هذا الذي أراك قد أصلحته، كم تقيم فيه؟، قال: لا أدري. قال: فالذي قد أخربه، كم تقيم فيه؟ قال: فبه مقامي، قال: تقر بهذا على نفسك وأنت رجل يعقل؟!.

وعن الحسن قال: يومان وليلتان م تسمع الخلائق بمثلهن قط:

يوم تبيت مع أهل القصور ولم يبت ليلة قبلها، وليلة صبحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إما بالجنة أو النار، ويوم تعطى كتابك يمينك وإما بشمالك. وعنه أيضاً قال: أوذنوا بالرحيل، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون، وشهد يوماً جنازة فاجتمع عليه الناس، فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم - رحمكم الله - فإنما هم إخوانكم يقدمونكم، وأنتم بالأثر، أيها الخلف بعد أخيه إنك الميت غداً، والباقي بعدك، والميت في أثرك أولاً بأول حتى توافوا جميعاً قد عمكم الموت واستويتم جميعاً في كربه وعصصه، ثم تخلتكم إلى القبور، ثم تنشرون جميعاً، ثم تعرضون على ربكم عز وجل.

وعن عمر بن أبي ذر أنه كان يقول في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية لجروا واجتهدوا في أيامهم الخالية خوفاً من يوم نتقلب فيه القلوب والأبصار.

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: القبر منزل بين الدنيا والآخرة فمن نزل به زاد وارتحل به إلى الآخرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وكان أبو عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من ربكم طول النسية، وحسن الطلب، فإن أخذه أليم شديد حتى تبقي وجوه أولياء الله بين أطباق النراب إنما هم محبسون لبقية آجالهم حتى يعينهم الله إلى جنته وثوابه.

وقال مسروق: ما من بيت خير للمؤمن من لحده قد استراح من أمر الدنيا
 أو من عذاب الله.

وعن عقبة البزار قال: رأى أعرابي جنازة فأقبل يقول: هنيئاً يا صاحبها
 فقلت: علام تهنته؟! قال: كيف لا أهنيء من يذهب به إلى حبس جواد كريم
 نزله عظيم، عفوه جسيم، قال: كأنى لم أسمع القول إلا تلك الساعة.
 ومما يروى عن أبي العتاهية:

يَا حِسَانَ الْوَجْوهِ سَوْفَ تَمُوتُونَ .. وَتَبْلَى الْوَجْوهُ تَحْتَ التُّرَابِ
 فأقبل على بن جبلة فقال:

أَكْتَبَ يَا مَرْبِي شَبَابَهُ لِلتُّرَابِ .. سَوْفَ يَأْكُلُ الْبَلَى بَعْضَ الثِّيَابِ
 يَا ذَوِي الْوَجْوهِ الْحِسَانِ الْمَصُونَاتِ .. وَأَجْسَامُهَا الْغِضَاضِ الرُّطَانِ
 أَكْثَرُوا مِنْ نَعِيمِهَا أَوْ أَقَلُّوا .. سَوْفَ تَهْدُونَهَا لِعَفْرِ التُّرَابِ
 قَدْ نَعْتِكَ الْآيَامُ نَعِيًا صَحِيحًا .. تَفَارِقِ الْإِخْوَانَ وَالْأَصْحَابِ

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد، قلت: معك ومع أبي الحسن، قال: نعم
 قلت:

يَأْمُقِيمِينَ رَحَلُوا لِلذَّهَابِ .. لِشَفِيرِ الْقُبُورِ وَحَطُّوا الرُّكَّابِ
 نَعْمُوا الْأَوْجَةَ الْحِسَانَ .. فَمَا صَوْنَكُمْوَمَا إِلَّا بِعَفْرِ التُّرَابِ
 وَالْبَسُوا نَاعِمَ الثِّيَابِ .. فَفِي الْحُفْرِ تُعْرُونَ مِنْ جَمِيعِ الثِّيَابِ
 قَدْ تَرَوْنَ الشَّبَابَ كَيْفَ يَمُوتُونَ .. إِذَا اسْتُنْفِرُوا بِمَاءِ الشَّبَابِ
 ومما قاله ابن السماك:

تَمُرُّ أَقَارِي جَنَابَاتِ قَبْرِي .. كَأَنَّ أَقَارِي لَا يَعْرِفُونِي
 وَذُورُ الْأَمْوَالِ يَقْتَسِمُونَ مَالِي .. وَلَا يَأْلُونَ أَنْ جَحَدُوا ذُيُونِي
 قَدْ أَخَذُوا سِيَاهَهُمْ وَعَاشُوا .. فَبِاللَّهِ مَا أَسْرَعَ مَا نَسُونِي
 قال وأنشدني أبو جعفر القرشي:

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهَنَّ سُكُونٌ .. وَسَاكِنُهَا تَحْتَ التُّرَابِ حُفُوتٌ
 يَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بِلَاغِهِ .. لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

ولما انصرف الناس من جنازة داوود الطائي رحمه الله أنشد ابن السماك
 رحمه الله:

انصرف الناس إلى ذورهم .. وغودر الميت في رممه
 مرتهن النفس بأعماله .. لا يرتجى الاطلاق من حبه
 لنفسه صالح أعماله .. وما سواها فعلى نفسه
 قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها .. لله درك ماذا تستر الحفر
 ففيهم لك يامغرور موعظة .. وفيهم لك يا معتبر معتبر

وقال بعضهم:

كم بطن الأرض ثاو من وزير وأمير .. وصغير الشأن وعبد حامد الذكر حقير
 شملت قبور القوم في يوم قصير .. ولم تعرف غيماً من فقير

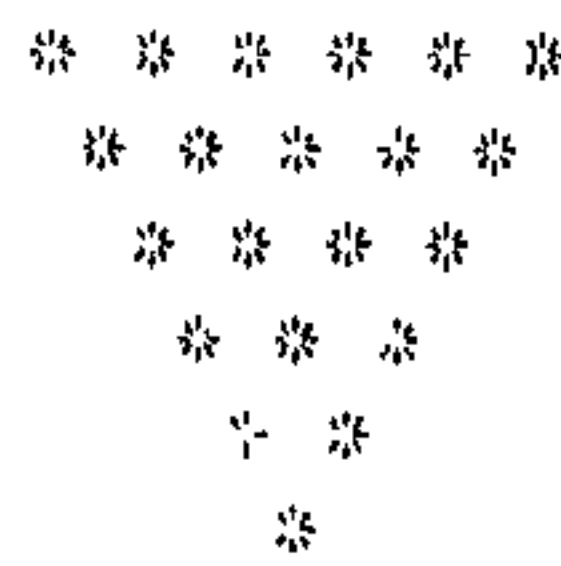
وقال بعضهم:

تقدمين تزود قريباً من فعالك .. إنما قرين الغنى في القبر ما كان يفعل
 إن كنت مشغولاً بشيء فلا يكن .. بعير الئذي يرضى الله تشتغل
 ما صاحب الإنسان من بعد موته .. إلى قبره إلا الئذي كان يعمل
 إنما الإنسان ضعيف لأهله .. يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل



تم تهذيب الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه في غرة رجب الخير ١٤٠٦ هـ
على يد العبد الفقير إلى عفو الله ومغفرته أبي حذيفة إبراهيم بن محمد
والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات .
وصلى الله وسلم على أشرف خلقه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين .

تم الكتاب وربنا محمود .. وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبي محمد صلواته .. ما ناح قمرى وأورق عود



المراجع

- بلوغ المرام - (شرحه سبل السلام) طبعة دار الشعب .
التاريخ الصغير - للإمام البخارى - ط دار الوعى - حلب .
تحفة الأحوذى - شرح سنن الترمذى ط السلفية بالمدينة المنورة
التذكرة - للعلامة القرطبي - ط الكليات الأزهرية .
تلخيص التحبير -- طبعة الكليات الأزهرية .
روضة العقلاء ونزومة الفضلاء - للإمام ابن حبان طبعة السنة المحمدية .
سنن أبى داوود -- طبعة التازية بتقديم البنا الساعاتى .
سنن ابن ماجه - طبعة عيسى الحلبي بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
سنن الترمذى -- طبعة السلفية بالمدينة المنورة .
سنن الدارقطنى -- طبعة عبد الله هاشم يماني المدنى .
سنن النسائى - بحاشية السيوطى - طبعة الحلبي .
صحيح البخارى - طبعة دار الشعب .
صحيح مسلم - طبعة عيسى الحلبي بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
فتح البارى - طبعة المكتبة السلفية وطبعة الكليات الأزهرية .
كشف الاستار عن زوائد البزار - طبعة بيروت .
الكر التميمى للغسارى - طبعة السعادة .
مجمع الزوائد - طبعة القدسى .
المجروحين لابن حبان -- طبعة دار الوعى -- حلب .
المستدرک للحاکم وتلخيصه للمحافظ الذهبى .

المسند للإمام أحمد - طبعة الحلبي .
موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان - طبعة السلفية .
الموطأ - للإمام مالك - طبعة عيسى الحلبي بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
ميزان الاعتدال - للإمام الذهبي - طبعة عيسى الحلبي .
أهوال القيامة - الشيخ عبد الله بن الكليب - طبعة دار الكتب السلفية
القاهرة .



فهرسُ الكُتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة الكتاب	٣
منهج تحقيق الكتاب	٦
ترجمة الإمام الحافظ ابن رجب	٧
بداية الكتاب	٩
نزول الميت قبره وسؤال الملائكة وسعة القبر	٩
حديث البراء بن عازب [طريقة أخذ الأرواح - سؤال الملائكة - أنيس القبر]	٩
حديث أبي هريرة عن حال الميت في القبر	١٢
اجتماع الموتي إلى الميت وسؤالهم إياه	١٥
عرض منازل أهل القبور عليهم من الجنة أو النار بكرة وعشية	٢١
ذكر عذاب القبر ونعيمه	٢٢
أمره ﷺ بالتعود من عذاب النار وعذاب القبر وفتة الدجال	٢٤
أنواع عذاب القبر	٢٦
حديث سمرة بن جندب ووصف أنواع العذاب	٢٧
ضغطة القبر وموقف سعد بن معاذ رحمه الله تعالى	٢٩
نعيم القبر	٣٠
سماع الموتي لكلام الأحياء ومعرفتهم بأحوالهم	٣٠
محل أرواح الموتي	٣٥
خلاصة الكلام في مستقر الأرواح للإمام ابن قيم الجوزية	٣٨
اقوال السلف في ظلمة القبر	٣٩
زيارة الموتي والاعتاظ بهم وكلام السلف في ذلك	٤٠
استحباب تذكر القبور والتفكير في أحوالهم وكلام السلف في ذلك	٤٥
من مواعظ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز	٤٦
ذكر كلمات منتخبة من كلام السلف	٤٨
المراجع	٥٣
	٥٥

رقم الأيداع: ٢١٢٤ / ١٩٨٦

مطابع الحضارة الإسلامية



هذا الكتاب

لقد أهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر
البعث والعقاب والثواب اهتماما كبيرا في بداية
الدعوة إلى الله فرغبهم فيما عند الله وحبب وزين
لهم الآخرة وما فيها من الأجر والثواب وإن
فيها ..

« ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر » ..

ورهبهم من مخالفة أمرهم فحذرهم وخوفهم
من هول يوم القيامة وشدة عذاب النار وكذلك أول
مراحلها وهي القبر وما فيه من نعيم لمن عرف
حقوق الله عليه فأقامها وعاش بها ومات عليها .
والويل كل الويل في القبر لمن خالف أمره ولم
يتبع هديه وشريعته .

هكذا كان هديه صلى الله عليه وسلم في بداية
دعوته ثم وضح وفصل لهم ذلك الأمر بعد أن
رسخت العقيدة في القلوب .

فما أحوجنا الآن « في عصر الماديات »
أن نتعرف على ما يحدث في القبور وأحوال أهلها
إلى النشور بعد أن قست القلوب وأصبحت أشد
قسوة من الحجارة .

دار الصحابة للتراث بنظنا

ت: ٢٢١٥٨٧ ص: ٤٧٧